مجلة عصور المجلد 18 العدد الأول جوان 2019
ردمد ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني 2003- Depot légal868

و اقع الأمومة والطفل في مجتمعات شمال إفريقيا في العصر النيوليتي
دراسة من خلال مشاهد الفن الصخري بمنطقة الطاسيلي ناجر

الباحث: دعاس فارس
Faresdaas3@gmail.com
إشراف أ.د. محمد رشدي جر اية
Med.rouchdi@gmail.com
جامعة الشهيد حمة لخظر – الوادي –

تاريخ الإرسال:2018/12/27 تاريخ القبول:2019/01/27

الملخص :

يعد الفن الصخري من بين أهم المصادر المادية التي لا نستطيع الاستغناء عليها في التأريخ للحياة الاجتماعية لمجتمعات شمال إفريقيا في عصور ما قبل التاريخ , ومن بين أهم المواضيع التي خصها هذا الفن موضوع المرأة والطفل ودورهما في الأسرة والمجتمع والحياة الدينية بصفة عامة , لذا فقد أخذت المرأة والطفل حيزا كبيرا من جملة الرسومات والنقائش الصخرية المنتشرة عبر مختلف المواقع الموجودة في الطاسيلي ناجر مثل موقع صفار وجبارين وأونحارت وأوزان إهريري ...الخ. ووضحت لنا هذه اللوحات قدسية المرأة وكيف أنها رُقيت إلى مصاف الآلهة , لأنها محور الحياة وأساس فكر الخصب الذي كان يطغى على الفكر الديني للإنسان البدائي, كما صورت لنا تلك العلاقة الحميمة بين الأم والطفل

بمختلف مراحلها وتجلياتها انطلاقا بمرحلة إخصاب المرأة مرورا بمرحلة الحمل والولادة وصولا إلى مرحلة التربية والتنشئة الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الأمومة , المرأة , الطفل , الفن الصخري, ما قبل التاريخ . شمال إفريقيا. الطاسيلي ناجر , النيوليتي .

Abstract: Rock art is the most important material resource used to write the social history of the peoples of North Africa in prehistoric times , The most important Themes presented by this art is the subject of women and children and their role in the family and society, The subject of women and children took a large part of all the rock drawings in various archaeological sites scattered in the Sahara Like Site : Jabbarin, Unhart ,Ozan Ehriri, Sifar , These rock paintings explained to us the sanctity of women and their role in the religious life of primitive man, As these rock paintings depicted us This intimate relationship between mother and child in various stages: Sexual practice, Pregnancy, birth, education and socialization .

Key words: Motherhood ; woman ; child ; rock art ; prehistory ; North Africa; Tasili Nagar; Neolithic

.

تمهيد :

عبرت لوحات الفن الصخري المنتشرة في منطقة شمال إفريقيا وخاصة في الصحراء الكبرى بمختلف مواقعها عن كل أفكار ومعتقدات الإنسان الذي سكن المنطقة , وخصت بالتعبير عنصر المرأة ودورها الاجتماعي الاقتصادي والديني , ولعل وضيفة الأمومة وتربية الطفل هي من بين أهم وأقدس الوظائف التي قامت بها المرأة

منذ عصور ما قبل التاريخ ويظهر هذا الدور جليا في مختلف اللوحات والصور التي رسمها الإنسان البدائي في المنطقة , لذا فإشكالية الموضوع تتمحور حول كيف عبر الفن الصخري على واقع الأمومة وتربية الطفل في مجتمعات شمال إفريقيا منذ عصور ما قبل التاريخ ؟

1- المرأة والخصب:

انتقلت الشعوب البدائية من تقديس الحيوان والظواهر الطبيعية إلى تقديس الإنسان بحد ذاته بداية من العصر الحجري القديم , وبدأت تلك الجدلية اللامتناهية بين العنصر الذكري والعنصر الأنثوي ومن هو محور الحياة وأساس استمرارية البشر , إلا أن العنصر الأنثوي احتل الصدارة في هذه الجدلية في عصور ما قبل التاريخ , حيث قدست الأنثى ورفعت إلى مصاف الآلهة واعتبرت مصدر إنتاج العنصر البشري ومحور جميع القضايا الاجتماعية و الدينية وحتى الطبيعية .

احتلت الرمزية الأنثوية الريادة في عقائد إنسان الباليوليتي الأعلى وظهرت هذه الصدارة في جداريات الكهوف المتواجدة في جنوب فرنسا وشمال اسبانيا التي تعود إلى هذا العصر, حيث لاحظ الباحثين أن الرموز والعناصر الأنثوية دائما تحتل المركز بينما يبقى العنصر الذكري في المحيط , مما يدل على أسبقية وأولوية العنصر الأنثوي على الذكري [1].

[1] -فراس السواح،دين الإنسان بين ماهية المعتقد ومنشأ الدافع،ط 4، منشورات دار علاء الدين،دمشق، 2002 ،ص 153-154.

تأكدت هذه الأسبقية من خلال ظهور تلك الدمى الأنثوية في مناطق شتى من العالم القديم خاصة في أوربا والشرق الأدنى القديم , هذه الدمى هي عبارة عن تماثيل منحوتة من الطين أو الحجر تأتي على شكل مغزلي أو هرمي في شكل أنثى بدينة تكون فيها مناطق الخصوبة بارزة خاصة الثديين والفخذين وتكون منطقة الحوض والبطن منتفخة بشكل غير عادي , ومن أبرز التماثيل نذكر إلهة لاوسيل في فرنسا , و إلهة تل أسود السورية و الآلهة الولود في الأنضول **(مشهد رقم 3)** [2] .

لم يكن الإنسان في مرحلة الباليوليتي يصور جسم الأنثى على ما يراه في الطبيعة , و إنما من أجل التعبير على حقيقة ما وراء جنس الأنثى , أو كإشارة إلى قدسية وقوة السمات الأنثوية التي تعبر عن مركز القوة السارية في الطبيعة , باعتبار الأنثى هي سبب تواجد الجنس البشري وأساس إستمراريته , و من هنا بدأت بوادر دين الخصب أو الخصوبة [3].

اكتشف الإنسان الزراعة في مرحلة العصر الحجري الحديث (النيوليتي) , وبفضلها عرف حياة الاستقرار , وربطها هي الأخرى بمعتقداته الدينية حيث شعر الإنسان لأول مرة في حياته بأن فكرة الخصوبة هي جوهر حياته الروحية , فالزراعة تعتمد على خصوبة التربة و تكاثر الحيوانات و كذلك ولادة الإنسان , لذا فقد ربط

[2] -خزعل الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ط 4، دار الشروق للنشر و التوزيع، ,عمان، ،1998 ص 82-83.

[3] -المرجع نفسه، ص 48.

خصوبة الأرض بالأنثى وتحولت قوة المقدس إلى قوة الخصب التي تمثلها الآلهة الأم ويقول خزعل الماجدي في هذا الصدد : " **لقد وجد الإنسان في المرأة البدينة المعفاة الخصيبة الحامل رديفا للأرض الخصبة المثمرة , والمرأة كما هي معروفة مكتشفة الزراعة وحافظة البذور , ولذلك رفعها إلى مرتبة الألوهية ..**".[4]

واستمر استعمال الدمى المؤنثة في مرحلة النيوليتي في مراسم الطقوس الدورية المتعلقة بالخصب في الأرض بحيث تغرس في الأرض بشكل عمودي , و لهذا حملت الشكل المغزلي لكي تكون سهلة للغرس ,أما تلك الدمى التي تحمل شكل الهرمي بقاعدة أفقية فيرجح أنها كانت توضع في البيوت [5].

لم تكن شمال إفريقيا بمنأى عن الفكر الديني في باقي العالم بل كانت هي الأخرى يمارس فيها الإنسان البدائي دين الخصوبة وتقديس الآلهة الأنثوية أو كما يعرفها الباحثون باسم "فينوس , vénus" [6], فقد اكتشف العديد من المنحوتات الصخرية لنساء بدينات تشبه تلك الدمى الأنثوية المكتشفة في جنوب أوربا و في الشرق الأدنى القديم خاصة تلك التي وجدت في مقبرة "الأبلاسا" **Le tombeau**

[4] -خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 121.

[5] -فراس السواح، المرجع السابق، ص 158.

[6] -فينوس، vénus : هي آلهة الحب والجمال والخصب عند الرومان عرفت في مختلف الحضارات بأسماء متعددة فعند الإغريق تسمى " أفروديت" و عند المصريين " نت" و عند الفينيقيين " عشتار" وفي شمال إفريقيا " تانيت " ....الخ . أنظر محمد الصغير غانم , الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال أفريقا،دار الهدى، الجزائر ، 2005 ،ص 117.

d'Abalessa في تمنراست أقصى جنوب الجزائر و التي تعود إلى العصر الحجري القديم[7] .

كما انتشرت الرسوم الصخرية للنساء البدينات اللاتي تبرز فيهن مناطق الخصوبة في العديد من المواقع في الصحراء الكبرى مثل فينوسات منطقة تامريت في التاسيلي(**مشهد رقم 2**) , كما برزت في مرحلة الرؤوس المستديرة [8]شخصيات أنثوية تمثل آلهة عظمى يتميزن بالأثداء المخروطية الطويلة مع قرون طويلة في بعض الأحيان و يتزين بأساور عديدة حول المعصم وخيوط متدلية من الذراع [9].

ومن بين هذه الصور المشهد الذي سماه الباحث هنري لوت السيدة البيضاء في منطقة أونحرحات في الطاسيلي (**مشهد رقم 1**) حيث تظهر في المشهد امرأة ذات قرون بحجم كبير ويعتقد أنها كانت تمثل ربة الخصب , فالشيء المقدس لدى مجتمعات الفن الصخري دائما ما يعبر عنه بصورة أكبر و أوضح , و تلك الزوائد و القرون تعبر على المرتبة الكبيرة و التميز[10].

[7] -Houria Mahasa,bijoux et mobilier funéraire de tin – hinan abalessa Algérien , éd musée national du bardo ,Algérien, p 74 fig 41.

[8] -مرحلة الرؤوس المستديرة : هي المرحلة الأولى التي صنفها الباحثون لكرونولجية الرسوم الجدارية , وسميت بهذا الاسم لأن هذه الجداريات تتميز بوجود شخصيات ذات رأس مستدير مع عدم وجود ملامح هذا الوجه . أنظر :

thématique etude",(D)hristianC sur l'art rupestre", UNISCO, 2007,p30.

[9] -لخظر بن بوزيد ،الفن والمعتقدات الطاسيلي أزجر في ما قبل التاريخ , الجزائر .

[10]- Le quellec (J.L) ,Symlolime et art rupestre au Sahara , l'Harmattan, Paris , 1993 , p 192-194.

ويظهـر جليـا في مشـاهد الفـن الصـخري في الطاسـيلي ذلك الارتبـاط الواضح بين المـرأة وخصـوبة الطبيعـة وبين المـرأة والزراعـة , فهناك العديد من المشاهد التي تظهر إسهامات المرأة في الزراعة , مثل مشـاهد موقـع صـفار التي تظهـر المـرأة وهي تقـوم بطحـن الحبـوب بواسـطة الرحى الحجريـة ومشـاهد أخـرى تصـور بعـض النسـاء وهـن يقمن بجمع السـنابل وتذريـة القمح [11] , وجـود المرأة كـذلك ضـروري في المشـاهد التي تعبر على طقـوس اسـتدرار المطر مثل المشـهد الـذي يعبر عن الرقص الطقوسي التي تقوم به النسـوة من أجل اسـتعطاف الآلهة و إنزال المطر في موقع جبارين **(مشهد رقم5)**[12], واستمر حضـور المرأة في طقـوس اسـتدرار المطر في العصـور التاريخيـة ,حيـث يـذكر المـؤرخ الإغريقي هيرودوت الطقس الـذي سـماه معركـة العـذاري[13] التي تقـوم بـه نسـوة قبيلتي المخلـوس و الأوسـيس البربريـة حـول بحيرة تريتـون ويهـدف هـذا الطقـس كسـب عطـف الآلهـة مـن أجـل المطـر وإخصـاب الأرض[14] , و تبقـى الظـاهرة في ديمومـة حتى في العصـور الحديثـة في

[11] - محمد وابل , الزراعة في منطقة الصحراء الوسطى خلال العصر الحجري , أعمال الملتقى الأول المدينة والريف في الجزائر القديمة , مكتبة الرشاد للطباعة و النشر , الجزائر , 2013 , ص 210.

[12] Lhote (H),la Découverte des Fresques de Tassili , arethaud,Paris,1958,fig 26.

[13]- ملخص هذه المعركة هو أن الفتيات تنقسمن إلى فريقين و يتواجهن في معركة عنيفة بضربات الحجارة والعصي , و من يمتن نتيجة هذه المعركة يعتبرن غير أبكار . أنظر :

Gsell (S) , texte relatifs à l'histoire de l'Afrique du Nord (Hérodote),Alger, 1915,p 132.

[14] -Hérodote, Histoires d'Hérodote , 4, trad Parlarcher charpentier, éd librairie éditeur, Paris,1850,180.

صورة طقس بوغنجة[15] الذي يقام في أرياف المغرب الأقصى و الجزائر [16].

لذا نستطيع أن نقول أن المجتمعات البدائية التي عاشت في شمال إفريقيا خلال العصور الحجرية قد اعتبر أن الأنثى هي الطبيعة في أصل الحياة , بسبب قدرتها على ولادة الحياة فاعتبروها أكبر قيمة من الذكر , و منه سادت أنَ الآلهة هي أنثى و آلهة الإخصاب و الولادة والخضرة و كل شيء مفيد .

15 -بوغنجة عبارة عن طقس تقام في أرياف شمال إفريقيا حيث تخرج كل النساء برفقة الأطفال ويضعون الدمية التي تسمى بوغنجة و يرددن أهازيج ودعوات من أجل نزول الأمطار ويسمى هذا اليوم أنزار : أنظر

Camps (G) , Anzar , E .B , vol 4, Edisud , Aix-en province , Paris , 1989 , p p 795-797

16 -I Bid , p 794.

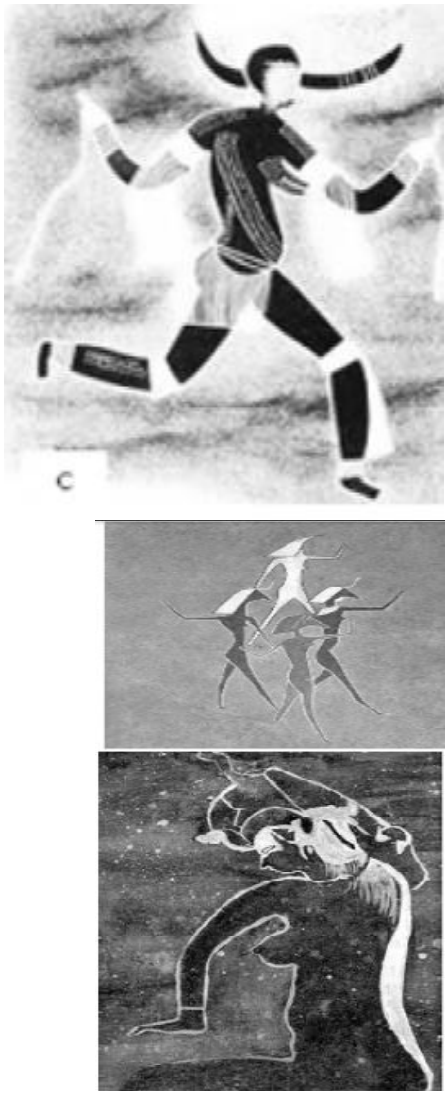

(1)

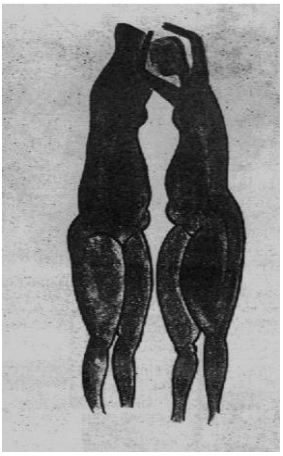

(4) (3) (2)

مشهد رقم(1): نماذج من الآلهة الأنثوية في مناطق مختلة من الطاسيلي

مشهد رقم (2): فينوسات الطاسيلي[17]

مشهد رقم(3): نماذج من الدمى الأنثوية (الآلهة الولود في الأنضول)[18]

[17] -لخضر بن بوزيد , دور المرأة في المجتمعات الرعوية خلال فترة ما قبل التاريخ , الملتقى الوطني المدينة والريف , مكتبة الرشاد للطباعة و النشر , الجزائر , 2013 , ص 232.

[18] - خزعل الماجدي , المرجع السابق , ص 87

مشهد رقم (4): نماذج من دمى أنثوية .

المرأة و الطفل :

تقدم الرسوم والنقوش الصخرية تلك العلاقة الحميمة بين المرأة والطفل وتصور جميع المراحل التي تربط بينها بداية من مرحلة إخصاب المرأة أو بما يسمى الممارسة الجنسية مرورا بمرحلة الحمل بتجلياتها ومرحلة الولادة انتهاء بمرحلة التربية والتنشئة الاجتماعية , وكل مرحلة من هذه المراحل لها تجلياتها وخصوصياتها الثقافية التي تعبر عن فكر الإنسان في عصور ما قبل التاريخ .

1-2 : الممارسات الجنسية:

قدمت لنا الرسوم و النقوش الصخرية الصحراوية مشاهد جنسية كثيرة ويرجع أغلبها إلى مرحلة الرؤوس المستديرة و مرحلة مربي الماشية[19], مثل تلك المشاهد الجنسية المتواجدة في وادي جرات في الطاسيلي (**مشهد رقم 9**), إذ تمثل شخصيات و هم في وضعيات الممارسة مقنعة برؤوس حيوانات من فصيلة الكلبيات , سواء بالنسبة للرجال أو بالنسبة للنساء , و نجد دائما حجم النساء أكبر من حجم الرجال [20], وهناك مشاهد أخرى في موقع أوزان إهيهري[21] لشخصيات

[19] - Lequellec(J.L) , op-cit ,p 342.

[20]- لخظر بن بوزيد , الفن و المعتقدات.....، ص 235.

[21]- يقع على بعد 30 كلم من مدينة جانيت , و معنى كلمة أوزان إهيهري هو "مشاركة الماعز" . أنظر :

Mostetai(A) , les représentations féminines d'Ozan Ehéré (Tassili –n-Azzjer Sahara central Alg), les cahiers de l' AARS , 16, Paris , 2013, p 207.

بوضعيات أخرى في حالة الممارسة لكن دون أقنعة والنساء دائما تصور بحجم أكبر من الرجال **(مشهد رقم 6.7.8)**[22].

و هناك العديد من المشاهد الأخرى تنشر عبر مختلف مواقع الفن الصخري في الصحراء الكبرى خاصة في موقعي صفار وأونرحات [23].

وقد اختلف المؤرخون في تفسير هذه المشاهد حيث يقون جون لوكال : " **يبدو على المرأة أثناء الفعل الجنسي عدم الاكتراث وهذا يدل على أنه مشهد رمزي لا يدل على الانحلالية** " , أما القس بروي فيقول : " **مثل هذه المشاهد هي تعبيرعن جنون جنسي لدى هؤلاء الناس** " [24], أما مليكة حاشيد فترى أن الروح الشيطانية هي التي سيطرت عليهم وشوشت أفكارهم فأنتجوا تلك المناظر الجنسية [25].

لكنهم اتفقوا على أن هذه المشاهد لا تعبر عن الانحلالية و المشاعية الجنسية لأن المجتمعات البدائية كان يحكمها الضمير و هذه المشاهد تنافي الفطرة التي فطر عليها الإنسان .

فسر الباحثون المختصون تلك المشاهد في وادي جرات المرتبطة بشخصيات نصف الإنسانية المقنعة برؤوس حيوانية من فصيلة الكلبيات على أنها مشاهد رمزية تعبر على الآلهة الأنثوية الخاصة بالخصب لكونها تتميز بضخامة الحجم مقارنة بالشخصيات الذكرية[26] , أما استعمال القناع فقد كان شائعا في الرسوم الصخرية و

---

[22] I bid , p 220.
[23] -Hachid (M), Tassili –N-Ajjer Au Source De L'histoire il Y A 50 Siècle Avant Les Pyramids, Ed Paris –Mediterranean, France, 1998 , p 165.
[24] -Le quellec (J.L) , op – cit , p 373.
-[25]-Hachid (M), op –cit , p 261.
[26] -لخضر بن بوزيد , الفن والمعتقدات ....., ص 110.

هـو على نـوعين : أقنعـة بـرؤوس حيوانيـة وأقنعـة بـرؤوس طقوسـية, و تحمـل هـذه الأقنعـة أدوار رمزيـة كثيرة مثـل دور الحمايـة مـن الأرواح الشريرة وله أبعاد أخرى خاصة بالسحر والدين, لذا دائما ما نجد ذلك التركيـب في المشـاهد واللوحـات الصـخرية بـين الجـنس والخصـب والسحر والدين [27].

نسـتطيع أن نقـول أن الفعـل الجنسـي هـو أول مراحـل فكـر الخصـوبة وأهمهـا لأنـه السـبب الرئيسـي في التكاثر لـدى الإنسـان , لـذا أخذت المشاهد الجنسية حيزا كبيرا من لوحات و رسوم الفن الصخري في الصحراء الكبرى , وهـذا أكبر دليـل على تجلي هـذا الفكـر لـدى الإنسان البدائي في عصور ما قبل التاريخ .

[27] -خزعل الماجدي , المرجع السابق , ص 174-175.

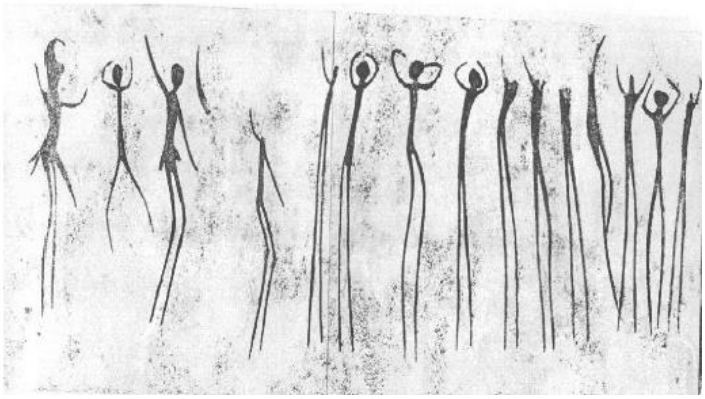

مشهد رقم5 : طقوس استدرار المطر في موقع جبارين[1]

(6)

(7)

[1] -Lhote (H),la Découverte…….p 261 , fig 26.

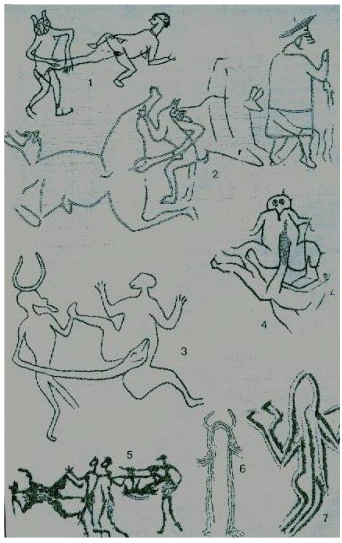

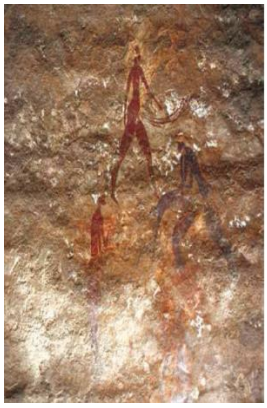

(8)

(9)

مشهد رقم (6).(7) (8) : مشاهد جنسية مختلفة من موقع أوزان إهيري [1]
مشهد رقم (9) : مشاهد جنسية في مناطق وادي جرات في الطاسيلي [2]

2-2: الحمل :

يعتبر الحمل ثاني مرحلة في ظاهرة الخصوبة بعد الممارسة الجنسية ,لذا فقد أخذ هو الآخر حيزا معتبرا من مشاهد و رسومات الفن الصخري في الصحراء الكبرى خاصة في مرحلة البقريات . و من أشهر هذه اللوحات لوحة المرأة الحامل والساحر في موقع أونرحات **(مشهد رقم10)** حيث تظهر امرأة حامل بحجم كبير ملامح وجها مختفية وهي أمام الساحر الذي يرتدي قناعا طقسيا و يلبس لباسا غريب مليء

[1] -Mostetai A) , op – cit , p 216.220.226.

[2] - لخظر بن بوزيد , المعتقدات والفن ...، ص 235.

بالزينات و الزوائد حول الكتفين و منطقة الخصر , وتظهر المرأة وهي تطلب منه شيئا ما نظرا لوضعية يدها اليمنى الممتدة نحوه ووضعية يدها اليسرى المنقبضة , ولعل موضوع الحوار كان هو طلب المرأة المساعدة من الساحر لحماية جنينها الذي في بطنها .[1]

وهناك مشهد آخر في منقطة صفار لثلاث نساء حوامل (**مشهد رقم11)** , وأهم ما يميز هذا المشهد هو اختلاف أحجام تلك النسوة , فهناك امرأة كبيرة و أخرى متوسطة والثالثة صغيرة الحجم , وكلهن حوامل ويمشين بخطوات متباطئة خوفا على الذي في بطونهن , كما أنهن يتزين بزينات جسدية هي عبارة عن خطوط صفراء حول جميع الجسد [2], و كقراءة لهذا المشهد نستنتج أن فترة الخصوبة تطول بالنسبة للمرأة وأن مرحلة الحمل والإنجاب تبدأ في مرحلة مبكرة في مجتمعات الفن الصخري بما أن كل النساء حوامل في هذا المشهد رغم اختلاف السن لديهن من الصغيرة إلى الكبيرة , كما أن الزينات الجسدية لديهن فهي مرتبطة كما يفسر بعض الباحثون بالسحر و قد تكون لحماية الجنين من الأذى و الأرواح الشريرة [3], واستمر هذا الاعتقاد لدى سكان بلاد المغرب القديم حيث يذكر هيرودوت على أن بعض القبائل اللبيبة كانوا يقومون بدهن الأجسام باللون القرمزي[4] , كما تحدث بعض النصوص عن ظاهرة الوشم التي

[1] -Lhote (H),op –cit , p 134.
[2] -Sèbe (A), Tikatoutine .6000ans L'art Rupestre Saharien .Collection Tagoulmoust - 44
Imprimé En Italie: Par Antegrafica .Silva , 1991, p 74
[3]- لخظر بن بوزيد , المعتقدات والفن ....., ص 196-197.
[4] -Hérodote, 4 , 191.194.

تتحلى بها المرأة في بلاد المغرب القديم وعن ارتباطه الوثيق بفكر الخصوبة [1].

وجد الإنسان البدائي في المرأة البدينة الحامل رمزا لآلهة الخصب , فدائما ما تصور الآلهة الأنثوية الكبرى بامرأة حامل[2] , و مثال ذلك مشهد السيدة السوداء في موقع صفار **(مشهد رقم12)** , حيث تظهر امرأة حامل بحجم كبير و تبدوا أنها مقنعة وذات زينات جسدية و هي تحمل القمر بكلتا يديها لذا سميت بالآلهة القمرية , وهذا المشهد يعبر على مدى أهمية فترة الحمل لدى المرأة في فكر الإنسان البدائي لأنه دائما يربطه بفكرة المقدس , فالمرأة لما تكون حامل تحضى باهتمام خاص وتشكل رمزية قدسية لا مثيل لها في مجتمعات الفن الصخري في الصحراء الكبرى[3] .

وهناك الكثير من المشاهد الأخرى التي تعبر على مرحلة الحمل منتشرة عبر العديد من مواقع الفن الصخري في الصحراء الكبرى مثل مشهد المرأة الحامل رفقة زوجين من الأبقار في موقع أوزان إهيري **(مشهد رقم13)** [4], و مشهد في موقع صفار لامرأة حامل وحولها رجل وأولادها وكلاهما يشير للأولاد لكي يأتوه[5] , وهناك مشهد في موقع زكار في أولاد نايل يصور امرأة حامل وهي تتعرض لمحاولة اعتداء من قبل

[1] -Gsell (S) , op-cit , p 10.11.

[2] -خزعل الماجدي , المعتقدات والفن .....، ص 121.

[3] -Lhote (H). Le peuplement du Sahara néolithique, d'après l'interprétation des gravures et des peintures rupestres. In: Journal de la Société des Africanistes, tome 40, fascicule 2.
, 1970 , p 104.

[4] Mostetai A) , op – cit , p223.

[5] Sèbe (A), op-cit ,p 253

احد الأشخاص , غير أن رجلا آخر يحميها ويضرب المعتدي بشيء حاد .[1]

إن الطابع المشترك بين كل هذه المشاهد هي أنها تكون مرفقة بالعديد من العناصر الرمزية , وهي أن المرأة الحامل دائما ما تكون الشخصية المركزية للمشهد بحيث تسيطر على مساحة كبيرة منه , ودائما ما تكون مزينة بزينات جسدية مثل النقاط والخطوط حول الساقيين , أو بعض الزوائد مثل القرون و الأقنعة و الدوائر التي تحيط بجسم المرأة , وكل هذه الرموز والعناصر توضح مدى أهمية المرأة الحامل وقدسيتها , وفي نفس الوقت تعتبر رموز سحرية من أجل حماية المرأة و جنينها [2].

[1]-. Hachid (M) , op-cit , fig 220.

[2] -لخظر بن بوزيد , المعتقدات والفن ....., ص 223.

(10)

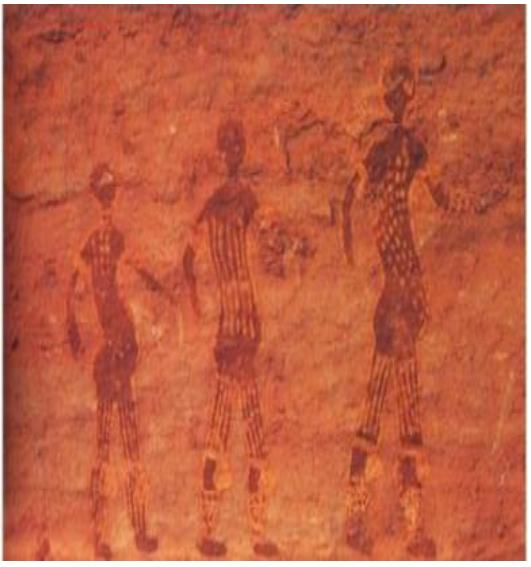

(11)

(12)

(13)

مشهد رقم 10: المرأة الحامل والساحر في موقع أونرحات [1]

مشهد رقم11: النساء الحوامل بموقع صفار[2]

مشهد رقم12: السيدة السوداء في موقع صفار[3]

مشهد رقم13: المرأة الحامل والأبقار بموقع أوزان إهيهري [1]

[1] -Lhote (H),la Découverte....., p 134.
[2] -Sèbe (A), op-cit ,p 74.
[3] -Lhote (H). Le peuplement du Sahara...., p 104.

3-2 : الولادة :

تعطينا النقوش و الرسوم الصخرية العديد من المشاهد للنساء في حالة الولادة وهو ما سماه الباحثين : أسلوب المرأة المفتوحة **les femme ouverte** , وهو أسلوب انتشر في العديد من المواقع في الصحراء الكبرى التي تعود لمرحلة الرؤوس المستديرة ومرحلة مربي الماشية, حيث تظهر النساء بشخصيات نصف إنسانية مقنعة برؤوس الحيوانات وبسيقان وأرجل منفتحة في حالة الولادة[2] , مثل المشاهد التي اكتشفت في موقع تدرارت أكاكوس بفزان **(مشهد رقم14)** التي تظهر فيه نساء بحالة الولادة وهي مقنعة برؤوس الحيوانات وتظهر الزوائد في منطقة الفرج والسيقان منفرجة وهي آخر محلة لخصوبة المرأة بعد الممارسة والحمل [3].

هناك مشاهد أخرى في موقع أوزان إهيهري لنساء في وضعية الولادة **(مشهد رقم 16 . 15)** لكن دون أقنعة وإنما ملامح أوجهن مختلفة , ولا توجد تفاصيل واضحة لأعضائهن الجسدية سوي اليدين والساقين المفتوحتين ويرفق المشهد بعض الحيوانات مثل الأبقار[4] , وكقراءة لهذه المشاهد فالمقصود منها هو التعبير على دين الخصب كيف لا و الولادة و قدوم الجنين هي أهم مراحل الخصب وأخرها , لذا خصص لها فنانو الطاسيلي حيزا معتبرا من رسوماتهم ولواحتهم , أما الحيوانات التي ترفق

---

[1] -ostetai A) , op – cit , p223.

[2] -لخظر بن بوزيد , المعتقدات والفن ....., ص 110.

[3] - Huard (P), Allard (L). Gravures rupestres du Tadrart Akakous (Libye S.W.). In: Bulletin de la Société préhistorique française Comptes rendus des séances mensuelles, tome 74, n°9, 1977
, p. 284.

[4] -Mostetai A) , op – cit , p 220.

بالمشهد فقد فسرها الباحثون المختصون على أنها قرابين تقدم للآلهة الكبرى من أجل حماية المرأة و سلامة الجنين[1] .

وهناك مشاهد أخرى تتداخل فيها الصور ورمزيتها ومضامينها وكأنها تحكي على علاقة المرأة بالآلهة وعلاقة المرأة الطبيعة وعلاقة المرأة بالأسرة والمجتمع و كل هذه المواضيع يربط بينهما موضوع الخصب , لذا نجد ذلك التداخل بين العناصر الدينية والعناصر الطبيعية والعناصر الاجتماعية في مشهد واحد , مما يؤكد على عمق تفكير الإنسان البدائي وقدرته الكبيرة على إيصال أفكاره عن طريق النقش أو الرسم على جدران الجبال أو الكهوف , أو ما يصاحب ذلك من زخم .

[1] - I bid , p 222.

(14)

(15)

(16)

مشهد رقم(14): نساء في وضعية الولادة من موقع تدرارت أكاكوس[1]
مشهد رقم (15) (16) : نساء في وضعية الولادة من موقع أوزان إهيري[2]

2-4 : تربية الأطفال :

إن الحصول على الأولاد كان يملأ تفكير الإنسان البدائي في عصور ما قبل التاريخ و هو ما انعكس على رسوماتهم الصخرية , ومن بين المشاهد التي تبين هذا الحرص هو مشهد الإله الأكبر في صفار الذي يمثل شخصية مركزية تمثل الإله وحوله مجموعة من النساء وهن يطلبن أن يمنحهن الأولاد وأن يعيش أولادهن في كنفهن طويلا والمشهد يحوي بعض الحيوانات التي تعد كقرابين للإله من أجل

[1] -Huard (P), Allard (L), p 284.
[2] -Mostetai A) , op – cit , p 220 – 221.

تحقيق طلباتهن [1] , ومازالت النسوة في شمال إفريقيا تقوم بنفس الشيء لكن بطريقة مختلفة حيث يذهبن إلى بعض أضرحة الأولياء الصالحين ويقدمن المأكولات ويطلبن الأولاد و أشياء أخرى [2].

ولعل السبب الرئيسي في حرص النساء على طلب الأطفال , هو أن كثرة الأولاد تعني الحماية و الثروة وزيادة أعداد القبيلة , حيث كان النشاط الاقتصادي الغالب في عصور ما قبل التاريخ هو الرعي حيث كانت القبيلة تملك عدد هائل من قطعان الماشية من أبقار و أغنام وغير ذلك و هي القطعان يجب أن ترفق بعدد هائل من الرجال والشباب من أجل حماية القطيع والتكفل به , نفس الشيء تحتاج القبيلة العدد الكبير من الرجال لحماية القبيلة من الضربات الخارجية من القبائل الأخرى , لذا فالقبيلة القوية هي التي تملك عددا كبيرا من الأفراد[3].

نجد العديد من المشاهد التي تبرز الكثافة السكانية للقبيلة خاصة في مشاهد الرعي مثل مشهد المتواجد في موقع تاكدومتين في التاسيلي ناجر **(مشهد رقم22)** الذي يصور قطيع كبير من الماشية مرفق بعدد كبير من الأفراد بمختلف الأعمار والأجناس, و يؤكد هذا المشهد مستوى الكثافة السكانية لدى القبائل في عصور ما قبل التاريخ في الصحراء الكبرى [4] , وهناك مشهد أخر يصور امرأة محاطة بعدد كبير من الأولاد الصغار **(مشهد رقم20)** وهذه الأم أخذت مساحة كبيرة من المشهد وصورت بحجم كبير , وهذا أبرز دليل على

[1] -Hachid (M) , op-cit , p 165 , fig 250.
[2] -Gsell (S) , op –cit , p 54.
[3] - لخظر بن بوزيد , المعتقدات والفن ..... , ص 110.
[4] -Lhote(H). Le peuplement……..p 107.

أن المرأة المثالية في نظر فنانو الطاسيلي هي المرأة التي تنجب أكبر عدد من الأولاد [1] .

تعبر الكثير من المشاهد ولوحات الفن الصخري على عاطفة الأمومة وتلك العلاقة الحميمة بين الأم و الطفل ومن بين هذه اللوحات الرسم الصخري في جبال إفدانويين غرب الطاسيلي **(مشهد رقم21)** والذي يصور أم وهي تحاول حمل ابنها وملامح وجهها تعبر على مدى حبها وحنانها[2] , و كذا بعض المشاهد في موقع أوزان إهيهري خاصة ذلك المشهد الذي يوضع الأم وهي تقوم مرافقة ابنها وهم يمشيان جنبا إلى جنب **(مشهد رقم17)**, ومشهد الاستراحة الذي يوضح الأم وأطفالها وهم جالسون والبعض الأخر نائم **(مشهد رقم18)**, و مشهد أخر يصور الأم وهي تراقب صغيرها الذي يلعب مع الحيوان , يعني كل هذه المشاهد تعبر عن رابطة الأمومة وواقع تربية الطفل في مجتمعات ما قبل التاريخ[3] .

كما تظهر العديد من المشاهد العائلية التي تصور الأطفال وسط الأسرة الصغيرة رفقة الأم و الأب , مثل مشهد موقع أوزيناري الذي يصور امرأة في أسفل الصورة وامرأة أخرى في أعلى الصورة و كلاهما مع أطفالها , و في نفس الموقع هناك مشهد يصور مجموعة من الأزواج يتشاجرون و يبدو أن النزاع حول الأولاد والزوجات , وفي موقع صفار هناك مشهد يصور امرأتين لكل واحدة منها طفل بينما نجد في دائرة موجودة على اليمين رجلا نائما وفوقه طفل صغير[4] , وفي موقع أوزان

---

[1] -Mostetai A) , op – cit , p 224.

[2] -لخظر بن بوزيد , المعتقدات والفن ..... , ص 226.

[3] -Mostetai A) , op – cit , p 211-212.

[4]- لخظر بن بوزيد , المعتقدات والفن ..... , ص 222-223.

إهيهري هناك مشهد يصور أم رفقة أطفالها في البيت الذي رسم على شكل دائرة وفيها العديد من الأثاث **(مشهد رقم20)**[1] , وكان الأطفال كذلك يشاركون في الطقوس الدينية مثل ذلك المشهد في موقع جبارين الذي يوضح مجموعة من النساء وهم يصعدن إلى الجبال للقياس ببض الطقوس الدينية السحرية ويرافقهن الأطفال[2] , و لقد استمرت مشاركة الأطفال في الطقوس الدينية في المراحل التاريخية في بلاد المغرب القديم .

ويبقى للأم والمرأة دور في الأسرة و المجتمع حتى بعد أن يكبر أولادها فهناك العديد من اللوحات و الرسوم الصخرية التي تثبت ذلك , مثل المشهد في موقع صفار الذي يصور مجموعة من الأشخاص المحاربين وهم يركعون أمام امرأة كبيرة في السن تتوكأ على عصى , وفي موقع وان داربون في الطاسيلي هناك مشهد يصور امرأة طاعنة في السن و هي تتجه من أجل إيقاف الشجار الذي نشب بين ثلاثة أشخاص , وهاذين المشهدين يبرزان بشكل واضح عاطفة الأمومة المتمثلة أساسا في الجدة التي يحترمها ويطيعها أولادها وأحفادها[3] .

كل هده المشاهد التي سبق ذكرها تؤكد أن المجتمع في ما قبل التاريخ في الطاسيلي والصحراء كان مجتمعا أموسي بامتياز أي أن الطفل ينسب لأمه من جهة ومن جهة أخرى تعد المرأة هي محور الأسرة والمجتمع ولها العديد من الأدوار الدينية والاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية والعسكرية , وقد استمرت هذه المكانة في مجتمع

[1] --Mosteta A) , op – cit , p 213.
[2] -Lhote) H). Le peuplement du….. p 103.
[3] --لخظر بن بوزيد , دور المرأة في ..... ص 223-224.

الطـوارق الـذي يقـدس المـرأة و يعطيهـا مكانـة راقيـة مقارنـة بباقي مجتمعات بلاد المغرب .

(17)

(19)

(18)

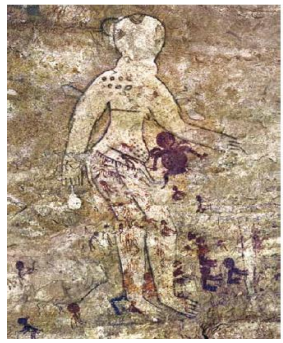

(21)

(22)

(20)

مشهد رقم17: الأم رفقة ابنها في موقع أوزان إهيري

مشهد رقم18: مشهد الاستراحة الأم مع أطفالها موقع أوزان إهيري

مشهد رقم 19: مشهد العائلة في موقع أوزان إهيري

مشهد رقم 20: مشهد الأم المثالية مع عدد كبير من أطفالها موقع أوزان إهيري[1]

مشهد رقم21: عاطفة الأمومة في موقع إفدانويين [2]

مشهد رقم22: مشهد الرعي و الكثافة العددية [1]

[1] -Mostetai A) , op – cit , p 211-212.

[2] -لخظر بن بوزيد , المعتقدات والفن ..... , ص 226.

خاتمة :

يعد الفن الصخري من بين أهم المصادر المادية التي زودتنا بالعديد من المعلومات على واقع الأمومة و الطفل في مجتمعات شمال إفريقيا في العصر النيوليتي , و تعد المواقع المنتشرة في إقليم الطاسيلي ناجر من بين أغنى المواقع ثراء باللوحات و النقائش الصخرية التي تصور المرأة وعلاقتها بالأسرة والمجتمع .

تعتبر المرأة في المجتمعات الرعوية ركيزة المجتمع لأنها الفاعل الأول في عقيدة الخصب, لهذه الأخيرة أخذت حيزا كبيرا من الفكر الديني و العقائدي في مجتمعات شمال إفريقيا , لذا تعتبر المرأة الخصبة الولود هي المرأة المثالية في نظر المجتمع.

صورت لنا الرسومات الصخرية في الطاسيلي ناجر تلك العلاقة الحميمة التي تربط بين الأم والطفل , و كيف تستمر هذه الرابطة المقدسة من أول رباط بينهما و إلى غاية أن يصبح الطفل شابة أو شابة .

من أهم الملاحظات و الاستنتاجات المستنبطة من جملة هذه الرسومات التي خصت المرأة و الطفل هي مركزية المرأة و طول فترة الخصوبة لدى النساء , و قيمة التكاثر ومكانة الطفولة في القبيلة الرعوية في العصر النيوليتي .

[1] -Lhote) H). Le peuplement du….. p 103.

البيبيوغرافيا

أولا : باللغة العربية :

1- خزعل الماجدي , أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ , ط 4 , دار الشروق للنشر و التوزيع ,عمان , 1998

2- لخضر بن بوزيد , دور المرأة في المجتمعات الرعوية خلال فترة ما قبل التاريخ , الملتقى الوطني المدينة والريف , مكتبة الرشاد للطباعة و النشر , الجزائر , 2013 .

3- لخظر بن بوزيد , الفن والمعتقدات الطاسيلي أزجر في ما قبل التاريخ , الجزائر .

4- محمد الصغير غانم , الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال أفريقا , دار الهدى , الجزائر , 2005 .

5- محمد وابل , الزراعة في منطقة الصحراء الوسطى خلال العصر الحجري , أعمال الملتقى الأول المدينة والريف في الجزائر القديمة , مكتبة الرشاد للطباعة و النشر , الجزائر , 2013 .

ثانيا: باللغة الأجنبية .

1- Mostetai(A) , les représentations féminines d'Ozan Ehéré (Tassili –n- Azzjer Sahara central Alg), les cahiers de l' AARS , 16, Paris , 2013.
2- Camps (G) , Anzar , E .B , vol 4, Edisud , Aix-en province , Paris , 1989 .
3- Hachid (M), Tassili –N-Ajjer Au Source De L'histoire il Y A 50 Siècle Avant Les Pyramids, Ed Paris – Mediterranean, France, 1998.
4- Hérodote, Histoires d'Hérodote , 4, trad Parlarcher charpentier, éd librairie éditeur, Paris,1850,180.
5- Houria (M),bijoux et mobilier funéraire de tin – hinan abalessa Algérien , éd musée national du bardo ,Algérien.
6- Huard (P), Allard (L). Gravures rupestres du Tadrart Akakous (Libye S.W.). In: Bulletin de la Société

préhistorique française Comptes rendus des séances mensuelles, tome 74, n°9, 1977.
7- Le quellec (J.L) ,Symlolime et art rupestre au Sahara , l'Harmattan, Paris , 1993
8- Lhote (H),la Découverte des Fresques de Tassili , arethaud,Paris,1958.
9- Lhote (H). Le peuplement du Sahara néolithique, d'après l'interprétation des gravures et des peintures rupestres. In: Journal de la Société des Africanistes, tome 40, fascicule 2. , 1970
10- Sèbe (A), Tikatoutine .6000ans L'art Rupestre Saharien .Collection Tagoulmoust - 44 Imprimé En Italie: Par Antegrafica .Silva , 1991
11- thématique etude",(D)hristianC sur l'art rupestre", UNISCO, 2007.